جواز مجيئ الهمزة للنداء أو الاستفهام في الآية ﴿أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ في قراءة الحرميين وحمزة المحرر الوجيز مثالاً

د. علي سالم جمعة شخطور – كلية الآداب – جامعة المرقب

مقدمة:

اعتنى كثير من الباحثين بالمحرر الوجيز؛ لما له من فائدة جليلة، ونفع عظيم، أجمع صاحبه فيه وأخلص، أكثر جمعا للأقوال، ونقلا عن السابقين، وخلوصا من الانحرافات، والكتاب بداية مرحلة جديدة من الاجتهاد والترجيح في المنهج النحوي[3] ، وابن عطية ذاك البارع في الأحكام واللغة والقراءات، اتبع المنهج البصري في كثير من ترجيحاته، ويذكر أيضا بعض آراء الكوفيين ويرجح حكمهم، ويرجح حكمهم، وقد أكثر من ذكر القراءات، مستعملها وشاذها[4]، واستفاد من تفسيره ابنُ هشام ونقل عنه كثيرا من التوجيهات كما هو في محله[5].

مشكلة البحث:

يمكن طرح التساؤلات الآتية: كيف وجه ابن عطية الآية محل الدراسة؟ وما هي ردود العلماء على هذا التوجيه؟ وما الراجح منها؟.

أهمية البحث:

للبحث أهمية عظيمة جاءت من عظم المبحوث وهو: دراسة آية من كتاب الله في المحرر الوجيز لابن عطية، تظافرت حولها الدراسات والآراء، فأردت جمعها ليسهل الرجوع إليها.

أهداف البحث:

التعرف على رأي ابن عطية في توجيه معنى الهمزة في الآية الكريمة محل الدراسة، وآراء العلماء حولها، ثم الترجيح بين هذه الآراء، إضافة إلى التعرف على أعلام اللغة والتفسير، وترتيب النتائج على اختلاف الفهم للنصوص.

منهجية البحث:

اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي في جمع مادة البحث، والوقوف على آراء العلماء وما نقلوه من أدلة، واقتضت طبيعته أن يتكون من: (مقدمة – مشكلة البحث – أهميته – أهدافه – منهجيته – ومبحثين:

المبحث الاول: تجويزه كونها للنداء)

توطئة موجزة عن الهمزة: للهمزة أغراض متعددة، من بينها: أن تكون حرفا ينادى به القريب[6]، وأن تكون للاستفهام[7]، وهي أصل أدواته ولها حكام خاصة بها، كجواز حذفها[8]، وورودها لطلب التصور والتصديق[9] وتدخل على الإثبات والنفي[10]، وتستعمل الهمزة في غير ما وضعت له، فيكون ذلك من قبيل المجاز[11]، فترد لعدة معان كالتسوية، والإنكار الإبطالي، والإنكار التوبيخي، والتقرير، والتهكم، والأمر، والتعجيب، والاستبطاء[12]،ونظرا لاتساع استعمالاتها، وتعدد أغراضها بين الحقيقة والمجاز تباينت آراء العلماء في تفسير الآية موضع الدراسة أجمل هذا ابنُ هشام فقال:"الألف المفردة تأتي على وجهين:

أحدهما: أن تكون حرفا ينادى به القريب...

والثاني: أن تكون للاستفهام، وحقيقته طلب الفهم، نحو "أزيد قائم"، وقد أجيز الوجهان في قراءة الحرميين﴿أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾، وكون الهمزة للنداء هو قول الفراء، ويبعده أنه ليس في التنزيل نداء بغير "يا"، ويقربه سلامته من دعوى المجاز، إذ لا يكون الاستفهام منه تعالى على حقيقته، ومن دعوى كثرة الحذف، إذ التقدير عند من جعلها للاستفهام: أمن هو قانت خير أم هذا الكافر أي المخاطب بقوله تعالى﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً﴾[13]، فحذف شيئان: معادل الهمزة والخبر"[14].

المبحث الأول: تجويز ابن عطية كون الهمزة للاستفهام التقريري.

صرح ابن عطية بجواز الوجهين في الآية الكريمة[15] ﴿أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ وهي قراءة يحيى بن وثاب(ت103هـ)[16] ونافع (ت169هـ)[17]،وابن كثير(ت120هـ)[18]،وحمزة (ت156هـ)[19]، وغيرهم، مستظهرا كون الهمزة للاستفهام التقريري، وهو قول الجمهور[20]، ويرد على هذا الوجه أن الاستفهام طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في الذهن ما لم يكن حاصلا عنده مما سأله عنه[21]، ويستلزم سبق الجهل، وهو محال على الباري .

جل وعلا، ومن العلماء من جعل هذا المعنى من أفراد الحقيقة بناء على أن طلب الفهم أعم من ذهن المتكلم وغيره، وهنا تكون فائدة الاستفهام لغيرك بأن يتكلم المجيب بالجواب، فيسمعه من جهل فيستفيده[22]، قال الشيخ بهاء الدين السبكي(ت773هـ)[23]:"وهذا ليس على إطلاقه، وإنما يستحيل إذا كان طلب الفهم مصروفا إلى المتكلم بالكلام الإستفهاميّ وأما إذا كان مصروفا إلى غيره من يطلب فهمه فلا يستحيل، كما في قوله تعالى﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ﴾[24] فهو استفهام حقيقي طلب به إقرار عيسى عليه السلام في ذلك المشهد العظيم بأنه لم يقل ليحصل فهم النصارى ذلك فيتقرر عندهم كذبهم[25] فيما ادّعوه" [26].

قال الشمنّي[27]:(وأقول فيه نظر: أما أولاً: فلأن قول النحاة حقيقة الِاستفهام طلب الفهم ليس معناه طلب الفهم مطلقا سواء أكان للطالب أم لغيره بل معناه طلب الفهم للطالب المتكلم بالِاستفهام.

قال التفتازاني(ت791هـ)[28] في المطول في باب الإنشاء:" وأنواعه على ما ذكره المصنف خمسة لأنه إما أن يقتضي كون مطلوبه ممكنا أولا.

الثاني: التّمنّي، والأول: إن كان المطلوب به حصول أمر في ذهن الطالب فهو الِاستفهام وإن كان المطلوب حصول أمر في الخارج فإن كان ذلك الأمر انتفاء فعل فهو النّهي، وإن كان ثبوته فإن كان بأحد حروف النداء فهو النداء،وإلاّ فالأمر"[29]، فأنت تراه كيف جعل المطلوب بالِاستفهام

حصول أمر في ذهن الطالب.

وأمّا ثانيا: فلأن المعنى الحقيقي للّفظ يقصد منه أولا وبلا واسطة معنى آخر مقصود من ذلك اللفظ، وعلى هذا فلا يكون فهم الحاضرين المطلوب حصوله من الإقرار المطلوب بأداة الِاستفهام معنى حقيقيا لتلك الأداة؛ لأن فهم الحاضرين مقصود منها ثانيا وبواسطة الإقرار، لا أولا وبلا واسطة)[30].

وما ذكره الشمنّي دلل عليه بقوله:"ومنه سؤالُ جبريلَ عليه السلام النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان حيث قال:(ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالبعث، قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه،... وفي آخر الحديث ثم أدبر فقال: ردّوه فلم يروا شيئا؛ فقال ﷺ هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم)[31]، فقد استفهم جبريل النبيّ ﷺ ليجيب بما أجاب فيفهمَ الحاضرون ويتعلموا دينهم، ولم يكن غرضه طلب فهم نفسه بل فهم غيره ممن يستمع الجواب وهو على هذا استفهام حقيقيّ"[32].

قال ابن هشام:"اعلم أن حقيقة الاستفهام أنه طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في الذهن ما لم يكن حاصلاً عنده مما سأله عنه"[33]، بل عرض ابن هشام المسألة نفسها في رسالته فقال: " وقال بعض الفضلاء: ينبغي أن يكون المطلوب تحصيل ذلك [أي الاستفهام] في ذهن أعم من ذهن المتكلم وغيره، كما أن حقيقة الاستغفار الذي هو طلب الغَفْر . وهو الستر. أعم من أن يكون المطلوب له هو المتكلمَ أو غيرَه؛ ولهذا تقول: أستغفرت لفلان كما

تقول: أستغفرت لنفسي، وفي التنزيل ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾[34] وتكون فائدة الاستفهام لغيرك أن يتكلم المجيب بالجواب، فيسمعَه من جهل

فيستفيده"[35]، إلا أن ابن هشام لم يكن رأيه موافقا للفضلاء فقال:" لو صح ذلك لم يطبق العلماء على أن ما ورد منه في كلامه – سبحانه – مصروف إلى معنى آخر غير الاستفهام، ولو كان

على ما ذكر لم يستحل حمله على الظاهر، ويكون المراد منه أن يجيب بعض المخاطبين فيفهم الجواب من لم يكن عالما به"[36].

البهاء السبكي خرج عن إطباق ابن هشام فقال:"...إذا تقرر هذا فلا بدع في صدور الاستفهام ممن يعلم المستفهم عنه، وإذا سلمت ذلك انزاحت عنك
شكوك كثيرة، وظهر لك أن الاستفهامات الواردة في القرآن لا مانع أن يكون طلب الفهم فيها مصروفا إلى غير المستفهم والمستفهم عنه، فلا حاجة إلى تعسفات كثير من المفسرين، وبهذا انجلى لك أن الاستفهام التقريري بهذا المعنى حقيقة... واتضح لك حمل الاستفهامات الواردة في القرآن على حقيقتها مع تنزيه الباري – عز وجل – عن أن يطلب الفهم لنفسه – تبارك وتعالى – وهذا ما قدمت الوعد به"[37].

ويأتي الاستفهام بمعنى الاستخبار ومن العلماء من فرق بينهما، قال الزركشيّ(ت794هـ)[38]:" ومنهم من فرق بينهما بأن الاستخبار ما سبق أولا ولم يفهم حق الفهم؛ فإذا سألت عنه ثانيا كان استفهاما؛ حكاه ابن فارس في فقه العربية"[39]، وزاد الزركشي الأمر وضوحا فقال:" ولكون الاستفهام طلب ما في
الخارج أو تحصيله في الذهن لزم ألا يكون حقيقة إلا إذا صدر من شاك مصدق بإمكان الإعلام؛ فإن غير الشاك إذا استفهم يلزم تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت فائدة الاستفهام"[40].

ومن العلماء من ذهب إلى أن حقيقة الاستفهام أبعد من أن تكون للمتكلم وغيره قال الزركشيّ" وفي الاستفهام فوائد:

الأولى: قال بعض الأئمة: ما جاء على لفظ الاستفهام في القرآن فإنما يقع في خطاب الله – تعالى – على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل، فيستفهم عنه نفسه تخبره به، إذ قد وضعه الله عندها، فالإثبات كقوله تعالى﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[41] والنفي كقوله تعالى﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾[42] ومعنى ذلك أنه قد حصل لكم العلم بذلك، تجدونه
عندكم إذا استفهمتم أنفسكم عنه، فإن الرب تعالى لا يستفهم خلقه عن شيء، وإنما يستفهمهم ليقررهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشيء؛ فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن، وهو في كلام البشر مختلف"[43]، ويخرج الاستفهام عن معناه الحقيقيّ إلي معان أخر
من بينها: التقرير كقول عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب(ت129هـ)[44](من الطويل):

أأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا

يقول المبرد(ت285هـ)[45]:"فقوله: أأنت أخي ما لم تكن لي حاجة تقرير وليس باستفهام، ولكن معناه: أني قد بلوتك تظهر الإخاء فإذا بدت الحاجة لم أر من إخائك شيئا، قال الله . عز وجل .﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ﴾[46] إنما هو توبيخ وليس باستفهام، وهو – جل وعز – العالم بأن عيسى لم يقله"[47].

قال الرمّاني(ت384)[48]:" وإذا استعملت[أي الهمزة] في لاستفهام فإنها تأتي فيه على أوجه: منها: أن يكون على جهل من المستفهم... ومنها: أن يكون توبيخا كقوله تعالى﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾هذا توبيخ لعيسى عليه السلام في اللفظ ، ولقومه في المعنى، لأن الله تعالى علم أن

عيسى لم يقل ذلك، ولكن قال ذلك له بحضرة قومه؛ ليوبخهم على ذلك،ويكذبهم فيما قالوه"[49].

وقال ابن الناظم(ت686هـ)[50]: " وكثيرا ما يعدى الاستفهام عن مورد الحقيقة إلى ما يناسب المقام من إفادة التمني أو العرض ... أو التقرير كقولك لمن جاءك: (أجئتني؟) ومثله[51]﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾[52].

ولخص ابن الملاّ الحصكفي ما يتعلق بهذه المسألة فقال:"إذ لا يكون الاستفهام منه تعالى على حقيقته التي هي طلب الفهم،لاستلزامه سبق الجهل المحال عليه تعالى، أو لا يكون الكلام الاستفهاميّ منه تعالى على حقيقته أي معناه الحقيقي، فإنهم ربما أطلقوها عليه، بل يكون طلب الفهم فيه مصروفا عنه تعالى إلى غيره، كما في قوله – تعالى – ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[53] صرف الترجي فيه إلى غيره تعالى، فيكون ذلك الغير هو الطالب للفهم، ومن حاول جعل هذا المعنى من أفراد الحقيقة بناء على أن طلب الفهم أعم

من أن يكون مصروفا إلى المتكلم أو إلى غيره، ممن يطلب فهمه، وأن قوله تعالى ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ استفهام حقيقي طلب به إقرار عيسى – عليه

السلام – في ذلك المشهد العظيم بأنه لم يقل، ليحصل فهم النصارى ذلك فيتقرر عندهم كذبهم، فقد رد عليه بأن طلب الفهم ليس معناه ما ذكر، بل معناه طلب فهم الطالب المتكلم بالاستفهام، كيف وأن الاستفهام طلب حصول أمر في ذهن الطالب، كما تقرر، وبأن شأن المعنى الحقيقي أن يقصد أولا من غير واسطة

معنى مقصود من اللفظ، فلا يكون فهم النصارى معنى حقيقيا للقصد إليه بواسطة الإقرار، وفيه أنه لم يجعل الفهم معنى حقيقيا ليرد عليه الثاني، بل طلبه، إن حقيقة الكلام الاستفهاميّ على تعميمها ليست طلب فهم المتكلم أو غيره، ليرد الأول، بل طلب الفهم صادرا من المتكلم أو غيره، وهذا مدفوع

بشيوع أن طلبه صادرا من المتكلم، لا مطلقا، نعم يرد عليه كما في حاشية شيخنا أن الاستفهام إذا قصد به إقرار عيسى . عليه السلام . كان للتقرير الذي هو حمل المخاطب على الإقرار، ولم يكن حقيقيا فكيف يجامعه، ولم يكن طلب الفهم مصروفا عنه . تعالى . إلى غيره؟ كما هو حق المقام؛ إذ ليس ثمة فيه إلا ما يؤدّي إلي

حصول فهم النصارى من طلب إقرار عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام"[54].

المبحث الثاني: تجويز ابن عطية كون الهمزة للنداء.

قرر ابن عطية جواز أن تكون الهمزة للنداء بكون الخطاب لأهل هذه الأوصاف، كأنه يقول لصاحب هذه الأوصاف ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي﴾، قال:"وهذا

معنى صحيح، إلا أنه أجنبي من معنى الآيات قبله وبعده"[55]، أن الهمزة للنداء، قال الفراء(ت207)[56] من الكوفيين:"فسروها (يا من هو قانت)، وهو وجه حسن، العرب تدعوا بألف، كما يدعون بـ(يا)، فيقولون يا زيد أقبل، وأزيد أقبل"[57]، ويقوي رأيه سلامته من دعوى المجاز بحمله على التقرير، قال الأزنيقي(ت1018هـ)[58]"لا يظهر هذا مع أن المجاز أبلغ من الحقيقة"[59]، وفيه نظر!، إذ قد لا يقتضيه المقام، فلا يكون بليغا عن أن يكون أبلغ، وإنما معنى قولهم: المجاز أبلغ من الحقيقة أن فيه زيادة تصرف وعمل، فهو من البلاغة اللغوية، وأما حسنه فيتوقف على اقتضاء المقام وإثباته هنا خفي، مع أنه غير ما أشار له المعترض، ومراد المصنف: الأصل استعمال اللفظ فيما وضع له إلا لمقتض[60] والمجاز باب من أبواب البلاغة، فكيف تكون السلامة منه مطلوبا؟[61]، ويضعف رأي الفراء أنه ليس في فصيح الكلام نداء بغير ياء، فالحمل عليه حمل على ما لا نظير له في القرآن مع إمكان السلامة منه، فيترجح حملها على الاستفهام ويبعد حملها على النداء، قال الدماميني:"قال بعض

من عاصر المصنف: كم في القرآن من مفرد لم يقع إلا في محل واحد كـ﴿ضِيزَى﴾[62] و﴿الزَّبَانِيَةَ﴾[63]، و﴿كَالْعِهْنِ﴾[64]، قلت: هذا لا يشبه ما الكلام فيه فإن البحث مفروض في كلمة قرآنية تتردد بين معنيين لأحدهما نظير في القرآن دون الآخر،كالهمزة في الآية،حيث ترددت بين أن تجعل للاستفهام وله في التنزيل نظائر، وأن تجعل للنداء ولا نظير له فيه، فأين هذا من﴿ضِيزَى﴾ ونحوه؟"[65]، وما قاله بعض المعربين من أنه لا يوجد في التنزيل نداء بغير "يا" رده السيوطي(ت911هـ)[66] فيما نقله عنه الأمير بإيراد شواهد كثيرة له، على أن القرآن ورد باستعمالات العرب ولو قليلة، وقد يكون من هذا ما أجازه بعض المفسرين في قراءة طلحة (ت112هـ)[67]﴿أَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾[68] بغير فاء، قال أبو حيان:"وقرأ طلحة ﴿أَمَنْ﴾بغير فاء، قال

صاحب اللوامح أبو الفضل الرازي(ت454هـ)[69]: للاستخبار بمعنى العامة للتقرير ويجوز أن يكون بمعنى حرف النداء، فحذف التمام كما حذف من المشهور الجواب..."[70]، يعني أنه يجوز في هذه القراءة أن تكون الهمزة للنداء،وحذف التمام أي ما نودي لأجله كأنه قيل: يا من زين له سوء عمله ارجع إلى الله، وتب إليه[71].

ورجَّحَ أبو جعفر النحاس(ت338هـ)[72] قراءة التخفيف قال:"وفي قراءة التخفيف وجهان حسنان في العربية، وليس في القراءة الأخرى إلا وجه واحد فأحد الوجهين أن يكون نداء، كما يقال: يا زيد أقبل، ويقال: أزيد أقبل،

حكى ذلك سيبويه وجميع النحويين"[73]، وقد ضعف هذا الوجه أبو علي الفارسي (ت377هـ)[74] بقوله:"ولا وجه للنداء ههنا؛ لأن هذا موضع معادلة، فليس النداء

مما يقع في هذا الموضع، إنما يقع في مثل هذا الموضع الجمل التي تكون إخبارا، وليس النداء كذلك"[75].

قال الدماميني:(وفي تفسير ابن عطية(ت541هـ)[76] تجويز الوجهين، لكنه أبعد وجه النداء بأنه أجنبي من معنى الآيات قبله وبعده، قلت : وفيه نظر!؛ لأن المأمور بالقول في الآية السابقة وهو﴿قُلْ تَمَتَّعْ﴾، هو النبي . صلى الله عليه وسلم . وكذا هو المخاطب بقوله:﴿قُلْ يَا عِبَادِ﴾[77]، وقوله:﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾[78] وقوله:﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾[79]، وقوله: :﴿قُلْ إِنَّ

الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا﴾[80]، فما بعد الآية المتقدمة وما قبلها مناسب لها لا أجنبي عنها)[81].

ويلحظ من كلام الدماميني أن وجه النداء لم يكن أجنبيا عن معنى الآيات قبله وبعده؛ لأن المأمور بالقول هو النبي . صلى الله عليه وسلم . وهو بذلك تابع لابن الصائغ[82]، وما قاله الدماميني غير مسلم؛ لجواز أن يكون الخطاب لأهل هذه الأوصاف، والدليل على ذلك تقديره لمعنى الآية بقوله: "والوجه الثاني: أن يكون الألف نداء،

والخطاب لأهل هذه الأوصاف، كأنه يقول: أصاحب هذه الصفات﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي﴾فهذا السؤال بـ﴿هَلْ﴾ هو للقانت"[83]، ومراده أي قانت، وينبغي أن يكون المنادى معلوما لا مبهما، ويتجه الاعتراض على ابن عطية إذا كان حكمه

بالأجنبية بناه على أن الخطاب قبل وبعد للنبي– صلى الله عليه وسلم – وهذا لأهل هذه الأوصاف.

قال الشمني:(وأقول: مع أن ابن الصائغ(ت776هـ)[84] سبقه إلى ذلك ليس هذا نظر فيما قال ابن عطية، وإنما هو بيان لوجه آخر على تقدير كون الهمزة للنداء، وذلك أن قول ابن عطية أن معنى الآية على جعل الهمزة للنداء

أجنبي عما قبلها وما بعدها إنما هو على تقدير أن يكون لأهل الأوصاف المذكورة، كما صرح به، وأما على تقدير أن يكون لموصوف معين هو النبي .

صلى الله عليه وسلم . المخاطب بما قبل الآية وبما بعدها، فوجه آخر ليس في كلام ابن عطية تعرض له)[85].

والحال أن مراد ابن عطية هو بيان لوجه آخر، على تقدير أن يكون لأهل الأوصاف المذكورة كما صرح به، ولم يتعرض لكون القانت هو النبي– صلى الله عليه وسلم –، وهو أحرى بهذه الأوصاف من غيره، فيكون المنادى والخطاب له، وترتفع الأجنبية وحتى على احتمال أن المنادى غير معين فالأجنبية مرتفعة، فيكون المنادى هو من يتصف بهذه الأوصاف، بل جزم الفاسي (ت656هـ)[86] على هذا الوجه بأنه المنادى فقال:"والمنادى هو النبي . صلى الله عليه وسلم . ناداه الله وقال له: قل كذا"[87]، والجعبري(ت732هـ[88])[89]، والسمين الحلبي(ت756هـ[90])[91]، وابن عادل (ت880هـ)[92]،وعلم الدين

السخاوي(ت643هـ)[93]، والأقرب أن يكون المنادى هو النبي . صلى الله عليه وسلم .، ناداه الله بالأوصاف العظيمة الأربعة لأنها أوصاف له، ونداء لمن

هم من أصحاب هذه الأوصاف، يعني المؤمنين أن يقولوا:﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾؟، وعليه فإفراد﴿قُلْ﴾ مراعاة للفظ ﴿مَنْ﴾المنادى[94]، والأولى تخريج الآية على الاستفهام، وإن لزم عليه المجاز الذي هو دون الحقيقة؛ لأن الاستفهام واقع في القرآن كثيرا، وصرف عن ظاهره، بخلاف النداء بدون "يا" فلم يرد أصلا أو ورد قليلا.

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أوجزت البحث في ورقات تفاديا للتطويل، وحسبي أني جمعت فيه آراء العلماء حول المسألة محل الدراسة ودونت من خلاله النتائج الآتية:

1- المحرر الوجيز كتاب قيم مثمر؛ لما يحويه من لفتات للعلامة ابن عطية.
2- سعة أفق ابن عطية الذي كان يجمع بين آراء العلماء السابقين له.
3- آراء ابن عطية وسيلة لفهم نصوص العلماء، ومرجع مهم تستقل بخصائص معينة لا يمكن فهمها إلا من خلال دراستها.
4- قد تتسم آراء ابن عطية بالقوة، نظرا لاعتمادها على أدلة يصعب نقضها.
5- مراد ابن عطية أحيانا في بعض آرائه بيان لوجه آخر يفتح بابا مثمرا من أبواب الدراسة.
6- آراؤه بداية مرحلة جديدة من الاجتهاد والترجيح في المنهج النحوي.

7- اتبع المنهج البصري كثيرا، وقد يأخذ برأي الكوفيين متى قوي الدليل عنده.

وأسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير وأن ينفعنا بما علمنا.

هوامش البحث

1 . الزمر/9.

2 . ينظر ترجمته في بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس 389/1، وبغية الوعاة 73/2.

3 . ينظر النحو وكتب التفسير 755/2.

4 . المصدر السابق.

5 . ينظر مغني اللبيب 141/2،464،721.

6 . ينظر مغني اللبيب 19/1.

7 . ينظر شرح الدماميني 43/1.

8 . ينظر مغني اللبيب 21/1.

9 . ينظر المصدر السابق.

10 . ينظر شرح الدماميني 58/1.

11 . ينظر المصدر السابق 64/1.

12. ينظر مغني اللبيب 23/1 . 25، و شرح الدماميني 64/1 . 74.

13 . الزمر/8.

14 . مغني اللبيب 20.19/1.

15 . ينظر المحرر الوجيز 522/4.

16 . ينظر ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء 380/2.

17 . ينظر ترجمته في معرفة القراء الكبار للذهبي/64.

18 . ينظر ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء 443/1.

19 . ينظر ترجمته في معرفة القراء الكبار للذهبي/66.

20 . ينظر منتهى أمل الأريب من الكلام على مغني اللبيب 82/1، رسالة ماجستير تح/أ.جمعة حامد، قسم اللغة العربية وآدابها الخمس- جامعة المرقب.

21 . ينظر الإلمام بشرح حقيقة الاستفهام لابن هشام/114.

22 . ينظر الإلمام بشرح حقيقة الاستفهام لابن هشام/114.

23 . ينظر ترجمته في بغية الوعاة 343.342/1، هدية العارفين 113/5.

24 . المائدة من الآية/116.

25 . ينظر عروس الأفراح بهامش شروح التلخيص307/2.
26 . المنصف من الكلام على مغني ابن هشام21/1. وبهامشه شرح محمد بن أبي بكر الدماميني.
27 . ينظر ترجمته في بغية الوعاة374/1، والضوء اللامع174/2، وشذرات الذهب455/7.
28 . ينظر ترجمته في بغية الوعاة285/2، شذرات الذهب67/7.
29 . المطول شرح تلخيص المفتاح/406.
30 . المنصف من الكلام على مغني ابن هشام21/1.
31 . الحديث في صحيح البخاري . كتاب الإيمان . باب/37.
32 . المنصف من الكلام على مغني ابن هشام وبهامشه شرح الدماميني21/1.
33 . الإلمام بشرح حقيقة الاستفهام لابن هشام الأنصاري/114.
34 . النساء من الآية/64.
35 . الإلمام بشرح حقيقة الاستفهام/114.115.
36 . المصدر السابق/115.
37 . عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي307/2.308.
38 . ينظر ترجمته في طبقات المفسرين162/2، وحسن المحاضرة377/1.
39 . البرهان في علوم القرآن326/2.
40 . المصدر السابق/326. 327، وينظر المصباح في المعاني والبيان والبديع لابن الناظم/150.
41 . النساء من الآية/87.
42 . الإنسان/1.
43 . البرهان في علوم القرآن327/2.
44 . ينظر ترجمته في الوافي بالوفيات232/12، معجم المؤلفين299/2، الأعلام139/4.
45 . ينظر ترجمته في بغية الوعاة269/1.271، نزهة الألباء/193.201.
46 . المائدة من الآية/116.
47 . الكامل في اللغة والأدب181/1، وينظر المقتضب53/2، 228/3، 264، 289، 292.
48 . ينظر ترجمته في بغية الوعاة180/2.181، إنباه الرواة294/2.296.
49 . معاني الحروف/21، وينظر التفسير الكبير للرازي111/12، والمطول للتفتازاني/419.
50 . ينظر ترجمته في بغية الوعاة225/1، وهدية العارفين135/6، وشذرات الذهب398/3.
51 . المصباح في المعاني والبيان والبديع لابن الناظم/150، وينظر حاشية الشهاب583/3.

52 . الأنبياء/62.

53 . البقرة/189، آل عمران/200.130، المائدة/100.90.35،الأعراف/69، الأنفال/45، الحج/77، النور/31.

54 . منتهى أمل الأريب من الكلام على مغني اللبيب/85، رسالة ماجستير ت/أ. جمعه حامد بشر.

55 . المحرر الوجيز 523/4.

56 . ينظر ترجمته في نزهة الألباء/90، إنباه الرواة7/4، تاريخ بغداد154/14.

57 . معاني القرآن416/2، وينظر كتاب فتح الوصيد في شرح القصيد1218/4.

58 . ينظر ترجمته في هدية العارفين268/6، الأعلام8/6.

59 . مواهب الأريب(مخطوط) ل/9.

60 . ينظر حاشية الأمير 10/1.

61 . ينظر غنية الأريب عن شروح مغني اللبيب36/1، رسالة ماجستير،تح/ د. حسين الدبوس.

62 . النجم من الآية/22.

63 . العلق من الآية/18.

64 . المعارج من الآية/9، والقارعة من الآية/5.

65 . شرح المزج/54.

66 . ينظر ترجمته في شذرات الذهب55.51/8، وهدية العارفين544.534/5.

67 . ينظر ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء343/1،وحلية الأولياء14/5، والأعلام230/3.

68 . فاطر/8.

69 . ينظر ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء361/1، وهدية العارفين517/5.

70 . البحر المحيط15/9، وينظر غنية الأريب عن شروح مغني اللبيب36/1، رسالة ماجستير،تح/أ. حسين الدبوس.

71 . ينظر اللباب في علوم الكتاب105/16.

72 . ينظر ترجمته في بغية الوعاة362/1، وحسن المحاضرة460/1.

73 . إعراب القرآن811/4.

74 . ينظر ترجمته في بغية الوعاة 497.496/1، نزهة الألباء/275.274،

75 . الحجة للقراء السبعة93/6، وينظر الدر المصون9/6، واللباب لابن عادل483/16.

76 . ينظر ترجمته في طبقات المفسرين للداوودي260/1، وبغية الوعاة73/2.

77 . الزمر/10.

78 . الزمر/11.

79 . الزمر/13.

80 . الزمر/15.

81 . شرح الدماميني44/1، وينظر شرح الدماميني بحاشية المنصف من الكلام20/1.

82 . ينظر المنصف من الكلام20/1.

83 . المحرر الوجيز522/4.

84 . ينظر بغية الوعاة155/1، شذرات الذهب248/6، طبقات المفسرين185/2 .

85 . المنصف من الكلام20/1.

86 . ينظر ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء122/2، ومرآة الجنان112/4.

87 . شرح الفاسي على الشاطبية339/3.

88 . ينظر ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء21/1، ومرآة الجنان214/4.215.

89 . ينظر منتهى أمل الأريب من الكلام على مغني اللبيب83/1، رسالة ماجستير تح/أ.جمعة حامد.

90 . ينظر ترجمته في بغية الوعاة402/1، والدرر الكامنة198/1، ومعجم المؤلفين329/1.

91 . ينظر الدر المصون9/6.

92 . ينظر ترجمته في هدية العارفين794/5، الأعلام58/5.

93 . ينظر ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء568/1، وبغية الوعاة192/2.

94 . ينظر تفسير التحرير والتنوير مج9ج345/23.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، النحاس ت 338هـ تحقيق/ الدكتور زهير غازي زاهد، مكتبة الثقافة الدينية، 526 شارع بور سعيد/ الظاهر – القاهرة.

2- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزر كلي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان الطبعة الحادية عشرة 1995ف.

3- الإلمام بشرح حقيقة الاستفهام لابن هشام الأنصاري، رسالة مطبوعة مع ثلاث رسائل، حققها وعلق عليها د/ عبد الفتاح سليم، مكتبة الآداب . القاهرة.

4- إنباه الرواة على أنباه النحاة، لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى1986ف.

5- البحر المحيط في التفسير، لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر، بيروت ـ لبنان1992م.

البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد الزركشي، تحيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث

6- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أبو جعفر أحمد بن يحيى الضبي، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967 م.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية 1979م.

7- تاريخ بغداد، أو مدينة السلام، تأليف/الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي تحقيق/مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،الطبعة الأولى1997 ف

8- تفسير التحرير والتنوير، تأليف/ سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع ـ تونس.

9- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الحسن الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى2000ف.

10- حاشية الأمير على مغني اللبيب، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

11- حاشية الشهاب، المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي، للقاضي شهاب الدين أحمد الخفاجي، على تفسير البيضاوي، ضبطه الشيخ عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان.

12- الحجة في القراءات السبع، تأليف/ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق أحمد فريد المزيدي، قدم له/ الدكتور فتحي حجازي، جامعة الأزهر، منشورات

محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان الطبعة الأولى1999ف.

13- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، 1997ف.

14- حلية الأولياء في طبقات الأصفياء للأصفهاني، مكتبة الخانجي،القاهرة . مصر . دار الفكر . بيروت . لبنان1996ف.

15- الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون تأليف/الإمام شهاب الدين بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق/ الشيخ علي معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الولى1994ف

16- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، دار الجيل بيروت1993ف.

17- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف الإمام شهاب الدين ابن العماد الحنبلي دراسة وتحقيق/مصطفى عبد القادر عطا، دار القلم بيروت . لبنان.

18- شرح الدماميني على مغني اللبيب للإمام محمد بن أبي بكر الدماميني صححه وعلق عليه أحمد عزو عنايه، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت . لبنان . الطبعة الأولى 2007م.

19- شرح الفاسي على الشاطبية، المسمى باللآلئ الفريدة في شرح القصيدة، تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن الحسن بن محمد الفاسي، قدم له الدكتور عبد الله ربيع حسين، حققه وعلق عليه: عبد الرزاق بن علي بن إبراهيم موسى، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى 1426هـ-2005م المملكة العربية السعودية –الرياض.

20- شرح مغني اللبيب المسمى بشرح المزج للدماميني دراسة وتحقيق الدكتور عبد الحافظ حسن العسيلي . مكتبة الآداب . القاهرة الطبعة الأولى 2008ف.

21- صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية، استانبول . تركيا.

22- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي، دار مكتبة الحياة بيروت.

23- طبقات المفسرين، تصنيف الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى1983م.

24- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لبهاء الدين السبكي،(شروح التلخيص) دار

الإرشاد الإسلامي ـ بيروت.
25- غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري، عني بنشره ج.برجستراسر، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثالثة 1982ف.
26- غنية الأريب عن شروع مغني اللبيب، لمصطفى رمزي بن الحاج حسن الأنطاكي، رسالة ماجستير، ت.أ/حسين صالح الدبوس.
27- الكامل في اللغة والأدب، للأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق/ حنا الفاخوري، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الأولى.
28- كتاب فتح الوصيد في شرح القصيد، تأليف/الشيخ علم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي، تحقيق ودراسة/د. مولاي محمد الإدريسي الطاهري، مكتبة الرشد ناشرون، المملكة العربية السعودية ـ الرياض ـ الطبعة الثانية2005ف.
29- اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء محمد بن حسين العكبري، تح/الدكتور عبد الإله نبهان، دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ لبنان، دار الفكر ـ دمشق سورية، الطبعة الأولى 1995.
30- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى2001 م.
31- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تأليف/ الإمام أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي وضع حواشيه/ خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى1997ف.
32- المصباح في المعاني والبيان والبديع، تأليف الإمام أبي عبد الله بدر الدين ابن مالك الدمشقي الشهير بابن الناظم، حقق الكتاب الدكتور/ عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى2001ف.
33- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تأليف/ العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ، تحقيق/ الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى2001ف.
34- معاني الحروف، تأليف الإمام أبي الحسن علي بن عيسى الرماني، حققه الشيخ عرفان بن سليم العشا الدمشقي،المكتبة العصرية، صيدا،بيروت، الطبعة الأولى.
35- معاني القرءان للفراء، دار السرور، بيروت.

36- معجم المؤلفين، لرضا كحالة، مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة . بيروت.
37- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: محمد حسن الشافعي الطبعة الأولى 1997م، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
38- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تأليف الإمام ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية . صيدا بيروت، 1992 م.
39- المقتضب، للأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق/ محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب . بيروت.
40- منتهى أمل الأريب من الكلام على مغني اللبيب82/1، رسالة ماجستير تح/أ.جمعة حامد، قسم اللغة العربية وآدابها الخمس– جامعة المرقب.
41- المنصف من الكلام على مغني ابن هشام، تأليف/ الإمام تقي الدين أحمد ابن محمد الشمنّي، المطبعة البهية، مصر.
42- المنصف من الكلام على مغني ابن هشام، تأليف/ الإمام تقي الدين أحمد ابن محمد الشمنّي، المطبعة البهية، مصر.
43- مواهب الأريب شرح مغني اللبيب لمحمد بن أحمد الأزنيقي(مخطوط) مكتبة جامعة إستنبول (3035 . A)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامي، عمادة شؤون المكتبات، المكتبة المركزية، قسم المخطوطات، الرقم(2692)
44- النحو وكتب التفسير، الدكتور/ إبراهيم عبد الله رفيده، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس . الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية الطبعة الثانية1984م.
45- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي . القاهرة 1998.
46- هدية العارفين، أسماء المؤلفين و آثار المصنفين من كشف الظنون، لإسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان1992ف.
47- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، دار الفكر، الطبعة الأولى2005ف.